ملامح الحكمة في شعر محمود سامي البارودي

الأستاذ المساعد
محمد عبادى
جمهورية إيران الإسلامية
طالب دكتورا اللغة العربيَّة وآدابها
جامعة أزاد الإسلاميَة فرع آبادان

الأستاذ المساعد الدكتور
سهاد جادرى
جمهورية إيران الإسلامية
جامعة أزاد الإسلاميَة فرع آبادان ـ كلية العلوم الإنسانية
Sohad.jaderi@gmail.com

المدرس المساعد
جعفر عموري
جمهورية إيران الإسلامية
طالب دكتورا اللغة العربيَّة وآدابها
جامعة أزاد الإسلاميَة فرع آبادان
j.amouri1365@gmail.com

المقدمة:

إنَّ الحكمة هي الكلام المعقول المصون من الحشو؛ وبما أنَّ الحياة تقوم علي الخير والشرّ وبما أنَّ الإنسان يصطدم دائماً بالموت وبما أنّه يعيش في المجتمع ويتأثّر به، فلابدَّ له من الإحساس بالفرح واليأس والخوف والشجاعة والحب وغيرها من الإنفعالات التي تتناوب في تسييره (محمد، د.ت، ص٥). لا شك، أنَّ للحكمة وجوداً متميزاً في الأدب العربي شعراً ونثراً. وفي الشعر خاصة عرف عددٌ من شعراء الحكمة؛ كأبي تمام، والمتنبي، والشريف الرضي، ومن قبلهم زهير بن أبي سلمى، والأفوه الأودي، والسموأل، وعدي بن زيد العِبَادي، وغيرهم من شعراء العربية الذين أغنوا هذا الموضوع المهم بروائع أفكارهم وبدائع تصوراتهم. وفي العصر الحديث جرت الحكمة عذبة سلسة على ألسنة عدد من الشعراء كمحمود سامي البارودي وشوقي، وحافظ، وتمثلت في شعرهم تمثلاً قويا تستحق من أجله أن تفرد بالدراسة والبحث.

يعد البارودي من أوائل الشعراء في النهضة الأدبية الحديثة الذين عنوا بالحكمة في شعرهم، وأفردوا لها قصائد مشهورة تروى. ويأتي اهتمامه بالحكمة استجابة لتأثره بشعرائها في العصر العباسي، وعبر عن هذا التأثر بمختاراته الشعرية التي حشد فيها عدداً

من القصائد لشعراء تركوا بصمات واضحةً على شعره.(عويضة،١٩٩٤م، ص١٦٤).

هدف البحث:

الهدف من البحث والذي يكاد أن يكون بحثاً جديداً التعرّف علي الحكمة وأقوال الحكيمة في شعر محمود سامي البارودي

منهج البحث:

يقدَّم هذا البحث علي أساس المنهج التَّوصيفي التَّحليلي فاختيرت النّتاجات من المصادر الموثوقة ودوّنت في محاور صلب الموضوع **أسئلة البحث:**

١. ما هي أقوال الحكمية في شعر البارودي؟

٢. بأي لغةٍ يبين البارودي الحكمة؟

٣. هل كان البارودي شاعراً مبدعاً في خلق المعاني الحكمية؟

خلفية البحث:

اهتمّ بالحكمة وملامحها كثير من الباحثين وكل واحد منهم تطرَّق إلي أقوال الحكمة وأنواعها في شعر شاعر واحدٍ وتوصلوا إلي نتائج هامّة تدلّ علي استخدام الحكمة بأنواعه المختلفة في آثار تلك الشعراء، لكنّ لم يتطرّق إلي الحكمة في شعر محمود سامي البارودي من قبل، فهذه الورقة جاءت بأشعار من الشاعر المذكور لكي تقوم بتبيين الحكمة وأقوال الحكيمة المتجسدة فيها. في مايلي نشير إلي أهم الموضوعات التي دارت حول الحكمة في أشعار بعض الشعراء:

- فلاحتي، صغري، مصادر حكمه الصبر عند ناصيف اليازجي، دراسات في اللغة العربيه وآدابها، پاييز ١٣٩٢، شماره ١٥.
- نصير پور، منوچهر، بيت الحكمة وتأثيره في تطور الثقافة العربية وأدبها في العصر العباسي الأول، الجمعيه العلميه الايرانيه للغه العربيه وآدابها، پاييز ١٣٨٨.
- صدقي، حامد، الحكمة في شعر ناصيف اليلزجي، نشر آواي نور، ١٣٩٤.

المدلول اللّفظي والإصطلاحي لكلمة الحكمة:

لغةً:

لاشك أنّ كلمةَ ((الحِكمة)) لها معانٍ كثيرة، وحسب الاستعمال يكون المعني وارداً في الكلام أوالجملة. نأتي في البداية بمعني لغوي، ثمّ اصطلاحي. مما ذكر في مختلف المعاجم اللغوية حول ((الحكمة))، (ابن منظور،١٩٩٩،ماده ح ك م) أولاً: جاء في لسان العرب: ((الحِكمَةُ: هي عبارةٌ عن معرفة أفضل الأشياء بأفضلِ العلوم))

جاء في المُنجد:((الحِكمَة: جمع حِكَم، الكلام الموافق الحقّ، الفلسفة، صواب الأمر وسداده، العدل، العلم، الحلم)) (معلوف، لويس، ١٣٦٧ هـ.ش، مادة ح ك م)

جاء في المعجم الوسيط: ((الحِكمَةُ: معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، والكلام الذّي يَقِلُّ لَفظُه ويَحِلُّ معناه)). (أنيس، إبراهيم وآخرون، لاتا، مادة ((حَ كَ م))). جاء في مفردات القرآن الكريم: ((الحِكمَةُ: عبارةٌ عن معرفة أعيان المجودات علي ما هي عليها)) (الإصفهاني، ٢٠٠٦م، ص ٣١)

والحُكمُ أعمُّ من الحِكمَة، الحكمة حكمٌ، وليس كل حُكمٍ حِكمَةً، فإنّ الحُكم أن يُقضي بشئٍ علي شيء. وقال الرسول ﷺ: ((إنّ من الشعرِ لَحِكمَةٌ)) (المصدرالسابق، ص٢٤٩).

وجاء في مُنجدِ الطلاب: ((الحِكمَةُ: العدل والحِلم وقول الحق المطلوب، والحِكمَةُ: الفلسفة)) (البستاني، ٢٠٠٢م، ماده ((ح ك م))).

كما جاء في ((صوان الحِكمَةُ)): ((الحِكمَةُ: هي علم حقائق الأشياء، الموجودة بحال واحدة أبداً)) (السجستاني، ١٩٧٤م، ص١١٧). حَكَمَ يحكمُ حُكماً بينهم أي قَضى. وحَكَمَ له وحَكمَ عليه. والحُكم أيضا :الحكمة من العلم. والحكيم: العالم وصاحب الحكمة. وقد حَكُمَ بضم الكاف، أي صار حكيما. قال النّمربن تولب: وأبغِض بَغيضَك بُغضاً رُويداً إذا أنتَ حاولتَ أن تحكُما قال الأصمعي: أي إذا حاولت أن تكون حكيماً (الجوهري، ١٩٥٦م: ١٩٠١/٥) حَكُمَ - حِكمَةً: صار حكيماً، الحكمة الكلام الموافق للحق، الفلسفة، صواب الأمر وسداده. قصيدةحكيمة: ذات حكمة (معلوف، ١٣٨٠هـ. ش: ص١٤٦) أصل الحكمة

المنع، فهي بمنزلة المانع من الفساد (ابن منظور، ١٤٠٨ هـ.ق: ٢٧٢/٣. (العلم مع العمل (الجرجاني، ١٩٨٥م: ص١٢٣) العدل (نصرالله، ١٤٢٧ هـ.ق: ص ٢٩). العقل (دهخدا، ١٣٧٧هـ.ش، ٩١٦٢/٦).

اصطلاحاً:

أما الحِكمَة في المصطلح، فهي: ((كل ما يهدي إلي الخير في العقيدة والسلوك، فهو حكمة)) (مغنية، ٢٠٠٧م، ج٧، ص٢٣٢) الحكمة هي التي تهدي الإنسان من الظلمات إلي النور، والحِكمَة، هي التجربة الذاتيّة المكتسبة من فعلٍ أورأي. ومن طبيعة الحِكمَة أنها تنتشر بين الآخرين للانتفاع بها، والحِكمَة تَنبذُ الرذائل وتَحُثُ على المكارم والمحاسن. قال تعالى: ﴿يؤتي الحِكمَةَ مَنْ يشاء﴾ (البقرة، ٢٦٩) تنبيهاً علي أن الله يُعطي الحِكمَة لمن يَستحقها ويضع كلّ شيء في مكانه، كما قال عزّوجلّ: ﴿ولَقَد آتَينَا لُقمان الحِكمَة﴾. (لقمان: ١٢) ومما قال النبي ﷺ عن الحِكمَة: ((خُذوا الحِكمَة ولومِنْ ألسنةِ المشركين)) (بعلبكي، ٢٠٠٨م، ص٢٤٥).

أقسام الحكمة:

تنقسم الحكمة إلى الحكمة النظرية والحكمة العملية.

الحكمة النظرية: بمعنى الفلسفة، والحكيم هوالفيلسوف. قال التهانوي: ((الحكمة النظرية هي علم بما لايكون وجوده بقدرتنا واختيارنا، وموضوعها هوالموجود الذي ليس وجوده بقدرتنا واختيارنا)) (التهانوي، ١٩٩٦م، ٥/١). وبشكل أوضح تدور مسائلها، مناط البحث، خارج حدود حرية الإختيار البشري، كالبحث في الوجود، والخلق، والتوحيد، والنبوة، والمعاد... لا تأثير لوجود الإنسان في وجودها، ولا يبلغ الكمال إلاّ بمعرفتها، وهي موجودة سواء آمن بها أم لم يؤمن (نصرالله،١٤٢٧هـ، ص٣٨). الحكمة النظرية تنقسم إلى ثلاثة علوم: الإلاهيات، والطبيعيات، والرياضيات (مصلح، ١٣٥٣هـ.ش: ص٣).

الحكمة العملية: هي علم بما يكون وجوده بقدرتنا واختيارنا (التهانوي، ١٩٩٦م، ٥/١). تدور مسائلها، مناط البحث، داخل حدود حرية الإختيار البشري، أي تبحث مجموعة من القضايا في متناول الإنسان واختياره، وهي موضوعات لاتوجد إلاّ بوجود الإنسان، كالبحث في قضايا السياسة والدولة والأخلاق، وتهذيب النفس، وبناء المجتمع

(نصرالله، ١٤٢٧هـ، صص ٣٩-٣٨). تتشعب الحكمة العملية إلى قسمين: أ. الحكمة الخلقية: فائدتها تهذيب الأخلاق، أي تنقيح الطبائع بتعليم الفضائل وكيفية اقتنائها، لتزكى بها النفوس، وأن تكشف الرذائل وكيفية توقّيها لتطهر عنها النفس.

التعريف بالشاعر:

هو محمود سامي البارودي بن حسن حسني، وهو رائد النهضة الشعرية الحديثة، والإحيائي الأول للشعر العربي الحديث، وهو أخيراً شاعر السيف والقلم. ولد لأبوين مِن الشّراكسة (البارودي، ١٩٧١م، ص٦). يوم السادس من اكتوبر سنة ١٨٣٩م ببلدة إيتاي البارودي محافظة البحيرة (عويضة، ١٩٩٤م، ص٤٢).

وكان ينتمي لعائلة ناورزقوه، (فيصل حبطوش، ص٢٧). وكان أجداده يرقون بنسبهم إلى سلاطين مصر الشّراكسة؛ لذا كان "شديد الاعتداد بهذا النّسب في شعره وفي كل أعماله، فكان له أثر قوي في جميع أدوار حياته وفي المصير الّذي انتهى إليه". (البارودي،١٩٧١، ص٦).

أقوال حكمية في شعر البارودي:

يعتبر محمود سامي البارودي الشاعر الذائع الصيت المصري من رواد التجديد في الشعر العربي الحديث والذي أحيى الشعر العربي بعد ما فقد قوة الإبداع والابتكارفي العصرين المملوكي والعثماني، وأعاد إليه جماله وطراوته السابقين. وبما أن الشاعر خضع منذ طفولته لتعاليم دينية وقرآنية وكان يرى أن من واجب الشعر التهذيب الأخلاقي للإنسان والاجتماع لذا حاول في أشعاره أن ينشر بين الناس أصول العقائد وفروعها وكذلك القيم الدينية الأخلاقية والاجتماعية بما فيها الوفاء بالعهد، حفظ السر، الدعاء، التقوى، الزهد، التوبة، الكرم، الشجاعة و... فنراه يستخدم الوصايا الإرشادية في قالب الحكمة وكذلك العبارات القرآنية والروائية كأفضل طريق للوصول إلي هذا الهدف المنشود. (عويضة، محمد، محمود سامي البارودي، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م).

التفاوت بين الناس

وعندما نتصفح ديوان الشاعر البارودي، نجده يستلهم من التجارب في حياته ويرسل

الشعر إرسال الحكمة بما في ذلك تبيين التفاوت والفارغ بين الناس والروحيات التي تحدوبهم نحواستكمال المكارم فيقول في ذلك:

كَمْ بَيْنَ منتدبٍ يدعو لمكرمة ... وَبَيْنَ مُعْتَكِفٍ يَبْكِي عَلَى طَلَلِ

لَوَلا التَّفَاوُتُ بَيْنَ الْخَلْقِ مَا ظَهَرَتْ ... مَزِيَّةُ الْفَرْقِ بَيْنَ الْحَلْيِ وَالْعَطَلِ

(البارودي، ديوان البارودي،١٩٧١م، ج٣، ص٦٨)

فقومه متخاذلون ما بين شخص يدعو إلى المكارم دون أن يعمل بها، وبين معتكف يبكي على الماضي. فالشاعر يدعو هؤلاء المتخاذلين إلى ترك التخاذل والعمل بجد وقتال الأعداء فالصقور تأبى إلا شواهق الجبال فيطلب من المتلقي أن ينهض نحوالمكرمات وطلب العلي ونراه في المصرع الثاني يستخدم التشبيه الضمني ويستخدم رزية اليرو هو الباز للصعود نحو القيم العالية ويعلل ذلك بأن الفرد الجسور يدرك حاجته ولكن العاجز والمتقاعس لن يظفر بحاجته:

قَدْ يظفرُ الفاتكُ الألوى بحاجتهِ ... وَيَقْعُدُ الْعَجْزُ بِالْهَيَّابَةِ الْوَكَلِ

(المصدرنفسه)

فلا يظفر بحاجته إلا القوي الشديد اللحوح أما المتواكل فيقعده عجزه عن المعالي. ويطلب من السامع أن يأخذ الحيطة والحذر حتي يسلم من المكاره لأن لربما وقع الفتي في فتنة الناس ويقع بين اليأس والخوف:

وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ تَسْلَمْ، فَرُبَّ فَتى ... ألقى بهِ الأمنُ بينَ اليأسِ والوجلِ

ولا يغرنكَ بشرٌ منْ أخى ملقٍ ... فرونقُ الآلِ لا يشفى منَ الغللِ

(المصدرنفسه)

وفي الأبيات التالية يطلب من المستمع أن لا يغتر بأحد دون أن يتعرف علي أحواله ويستخدم في الشطر الثاني من البيت ضرب المثل حول الكحل والعين ويطلب منه بأسلوب ارشادي أن يبتعد عن النميمة والغيبة لأنها تصلي وتحرق القائل والسامع:

لو يعلمُ ما في الناس منْ دخنٍ ... لَبَاتَ مِنْ وُدِّ ذِي الْقُرْبَى عَلَى دَخَلِ

فَلا تَثِقْ بِوَدَادٍ قَبْلَ مَعْرِفَةٍ ... فَالْكُحْلُ أَشْبَهُ فِي الْعَيْنَيْنِ بِالْكَحَلِ

وَاخْـــشَ النَّمِيمَـــةَ، وَاعْلَـــمْ أَنَّ قَائِلَهَـــا يصـــليكَ مـــنْ حرهـــاَ نـــاراً بـــلاَ شـــعلِ

(المصدرنفسه)

فنرى البارودي يوظّف أسلوب الشرط ليقنع القارئ بصحّة الأفكار والمعاني التي عبّر عنها في سياق الموعظة والحكمة ثم يستخدم فعل الطلب لأنه يريد أن تثبت المعني بجوابه. وينوه الشاعر إلي ضر الكذب والافتراء وأنه يهدم عرش المماليك وتمزق شمل الجمع وكذلك ينوه إلي التليم أمام القضاء والقدر والمرء يعيش في حالة من الحسد وربما اقرباءه يحسدونه ويحسر علي ذلك بعظ الأنامل بأسنانه:

كـــمْ فريـــة صـــدعتْ أركـــانَ مملكـــة وَمَزَّقَـــتْ شَـــمْلَ وُدٍّ غَيْـــرِ مُنْفَصِـــلِ

(المصدرنفسه)

فاذا أسلم الإنسان أمره للمقادير فلا يصيبه إلا الانتكاس والخسران عندئذ تتوجه إليه الملامة والإنسان محسود بنعمته وبعض الأحيان تغتبط الناس أحواله:

إذا أنـــتَ أعطتـــكَ المقـــاديرُ حكمهـــا فأضـــيعُ شـــيءٍ مـــا تقـــولُ العـــواذلُ

وَمَـــا الْمَـــرْءُ إِلاَّ أَنْ يَعِـــيشَ مُحَسَّـــداً تُنَـــازَعُ فِيـــهِ النَّاجِـــذَيْنِ الْأَنَامِـــلُ

(المصدرنفسه، ج٣، ص ٨٣)

وينوه الشاعر بأسلوب حكمي إلي أن الأخلاق هي مواهب وليس اكتسابية وقد قسمت هذه المواهب بين الناس. ثم ينوه إلي أن الناس في مسعاهم علي صنفين: صنف عالم لديه مسعي هادف وآخر جاهل ليس له هدف في مسعاه. ولكن أخا العلم يؤخذ بعلمه وتستأنس به الناس ولكن صاحب الجهل فاقد الوجهة الاجتماعية وهولا يستأنس به:

لَعَمْـــرُكَ مَـــا الأَخْـــلاَقُ إلاَّ مَوَاهِـــبٌ مقســـمة بـــينَ الـــورى، وفواضـــلُ

ومـــا النـــاسُ إلاَّ كادحـــان: فعـــالمٌ يســـيرُ علـــى قصـــدٍ، وآخـــرُ جاهـــلُ

فـــذو العلـــمِ مـــأخوذٌ بأســـبابِ علمـــهِ وذُو الْجَهْـــلِ مَقْطُـــوعُ الْقَرِينَـــةِ جَافِـــلُ

(المصدرنفسه)

ويشير إلي أن طلب المودة الصافية من الناس أصبح أمرا عسيرا في هذا العصر فعلي

الفرد أن لا يتوخي المودة من الناس لأن المودة صارت عقيمة لديهم. وأيضا يشير إلي أن علي الفرد أن لا يتخلق بأخلاق غير مطبوع عليها وعليه أن يظهر ما عليه من دأب وعادة من الأخلاق الكريمة وعلي الفرد أن لا يصاحب من لا يشاكله. ويوصي الشاعر أن لا يعترف الأنسان بالذل خوف المنية لأن تحمل الذل هوأخطر علي النفس من القتل:

فلا تطلبنْ في الناس مثقالَ ذرةٍ ... مِنَ الْوُدِّ؛ أُمُّ الْوُدِّ فِي النَّاسِ هابِلُ

منَ العارِ أن يرضى الفتى غيرَ طبعهِ ... وَأَنْ يَصْحَبَ الإِنْسَانُ مَنْ لاَ يُشَاكِلُ

(المصدرنفسه)

وحول الابتعاد عن الذل والركون يقول:

فَلاَ تَعْتَرِفْ بِالذُّلِّ خَوْفَ مَنِيَّةٍ ... فَإِنَّ احْتِمَالَ الذُّلِّ شَرٌّ مِنَ الْقَتْلِ

(المصدرنفسه، ج٣، ص ٦٨)

وعلي الإنسان أن لا يطلب من الناس الوصول إلي أمنيته؛ لأنه يواجه الياس ولأن الناس أصبحوا بخلاء والناس من هذه الجهة علي صنفين: اما حاسد وصاحب كيد وحيلة وإما حقود يضمر العداوة لك.وينوه الشاعر إلي أن الأمور البسيطة مقرونة بالأمور الصعبة وكن الأمور الصعبة لا تدرك بالأمور السهلة:

وَلاَ تَلْتَمِسْ نَيْلَ الْمُنَى مِنْ خَلِيقَةٍ ... فَتَجْنِي ثِمَارَ الْيَأْسِ مِنْ شَجَرِ الْبُخْلِ

فما الناسُ إلاَّ حاسدٌ ذومكيدةٍ ... وآخرُ محنيُّ الضلوعِ على دخلِ

أَرَى السَّهْلَ مَقْرُوناً بِصَعْبٍ، وَلا أَرَى ... بغيرِ اقتحامِ الصعبِ مدركَ السهلِ

(المصدرنفسه)

وعلي الأنسان أن لا يغتر بالمضاهاة بين الناس لأن الناس أجناس وليس النبع كالضال لأن ابن آدم لولا العقل الذي يمتلكه لا يبقي إلا العظام والأوصال من الجسد: فقيمة المرء بعقله:

ولاَ تغرنكَ في الدنيا مشاكلةٌ ... بينَ الأنامِ ؛ فليسَ النبعُ كالضالِ

إِنَّ ابْنَ آدَمَ لَوْلاَ عَقْلُهُ شَبَحٌ ... مُرَكَّبٌ مِنْ عِظَامٍ ذَاتِ أَوْصَالِ

(المصدرنفسه)

ومن المشاهد في الأبيات المذكورة هوأن الشاعر في إيراد الحكمة كان ينهج منهج القدماء إنّ إعجابه بالشعر القديم، ومحاكاته له لم يكن انسلاخاً من عصره، وتجاربه الخاصّة ؛ لأنّه لم يذبْ في معارضاته للقدماء، بل ظهرت شخصيته بوضوح، كما أنّ هذه المعارضات لم تمنعه من التجديد الشعري، كالصياغة الشعريّة، والذاتيّة في الشعر، والتطرق إلى أغراض شعريّة جديدة، واستخدام ألفاظ معاصرة.وكأنّ البارودي قصد من وراء معارضاته الشعريَّة مجاراة لكبار شعراء العربيّة ؛ إدراكاً منه أنّه في عصر عز فيه نظيرهم.

ظل في المنفى بمدينة كولومبوأكثر من سبعة عشر عاماً يعاني الوحدة والمرض والغربة عن وطنه، فسجّل كل ذلك في شعره النابع من ألمه وحنينه. وبعد أن بلغ الستين من عمره اشتدت عليه وطأة المرض وضعف بصره فقرر عودته إلى وطنه مصر للعلاج، فعاد إلى مصر يوم ١٢ سبتمبر ١٨٩٩م وكانت فرحته غامرة بعودته إلى الوطن وأنشد أنشودة العودة التي قال في مستهلها:

تشيع الحكمة في نص البارودي، وقد أكثر البارودي منها ؛ لتأكيد أفكاره، وليبيِّن أن ما يذكره يعتبر قضايا عامَّة تنطبق عليه كما تنطبق على غيره.

وَاحْـــذَرْ عَـــدُوَّكَ تَسْـــلَمْ مِـــنْ خَدِيعَتِـــهِ ... إنَّ العـــداوةَ جـــرحٌ لـــيسَ ينـــدملُ

وعـــالجِ الســـرَّ بالكتمـــان تحمـــدهُ ... فَرُبَّمَـــا كَـــانَ فِـــي إفْشَـــائِهِ الزَّلَـــلُ

(المصدرنفسه)

وفي مجال الانفاق وذم الإسراف والبخل يقول: تسيطر على الشاعر عواطف ذاتيّة صادقة، تتمثّل في الاعتزاز في النفس، وكراهية الذل والمهانة، والإعجاب بمكارم الأخلاق:

وَلاَ تَكُـــنْ مُسْـــرِفاً غِـــرّاً، وَلاَ بَخِـــلاً ... فبئســتِ الخلــة : الإســرافُ، والبخــلُ

ولا يهمنـــكَ بعـــضُ الأمـــرِ تســـأمهُ ... لا يَنْتَهِـي الشُّـغْلُ حَتَّـى يَنْتَهِـي الأَجَـلُ

(المصدرنفسه)

فنجد البارودي في مجال ذم البخل والاسراف يرسل عباراته ارسال المثل. وفيما يختص معرفة فرص العمل وحول التريث والتأني في الأمور واستحسان التعجيل في بعض الأمور يقول:

وَاعْـرِفْ مَوَاضِـعَ مَـا تَأْتِيـهِ مِـنْ عَمَـلٍ فَلَـيْسَ فِـي كُـلِّ حِـينٍ يَحْسُـنُ الْعَمَـلُ
فالريـثُ يحمـدُ في بعـض الأمـورِ، كمـا في بعـض حالاتـهِ يستحسـنُ العجـلُ

(المصدرنفسه)

وحول النظر في عاقبة الأمور وذم الحرص والطمع يقول:

لَوكَـانَ لِلْمَـرْءِ فِكْـرٌ فِـي عَوَاقِبِـهِ مـا شـانَ أخلاقَـهُ حِـرصٌ ولا طَبَـعُ
وكَيْـفَ يُـدْرِكُ مَـا فِـي الْغَيْـبِ مِـنْ حَـدَثٍ مـن لَـم يَـزَل بِغـرورِ العَـيشِ يَنخَـدِعُ

(المصدرنفسه، ج٢، ص ٧٣)

فينـوه ألـي غـرور الإنسـان وهولايـدري مـا في الغيـب وهومخـدوع بـالعيش ومغـرور بالسلامة.

يَسْـعَى الْفَتَـى لأُمُـورٍ قَـدْ تَضُـرُّ بِـهِ وَلَـيْسَ يَعْلَـمُ مَـا يَـأْتِي وَمَـا يَـدَعُ
يأيهـا السَـادِرُ المُـزوَرُّ مِـن صَـلَفٍ مَهْـلاً، فَإِنَّـكَ بِالأَيَّـامِ مُنْخَـدِعُ

(المصدرنفسه)

فيوصي الـذين يتبعـون الشكوك والشبهات وويوصيهم بأخـذ جانب العبـادة والإيمـان وترك ملاهي الدنيا وأن الدنيا أشبه شيء بالثوب إذاما رث سوف ينخلع فكذلك الدنيا:

دَعْ مَـا يَرِيـبُ، وَخُـذْ فِيمَـا خُلِقْـتَ لَـهُ لَعَـلَّ قَلبـكَ بِالإيمـان يَنتَفِـعُ
إِنَّ الْحَيَـاةَ لثَـوْبٌ سَـوْفَ تَخْلَعُـهُ وكُـلُّ ثـوبٍ إذا مـا رثَّ ينخَلِـعُ

(المصدرنفسه)

وحول شرف الإنسان حيث لا يحصل إلا من تلقاء نفس الإنسان ذاته حتي وإن ملك مالا وفيرا يقول:

تَشـابَهتِ الأخـلاقُ إلاَّ بَقيـة بِهَـا يُعْـرَف الْمَاضِـي مِـنَ الْمُتَخَلِّـف
ومـا شَـرفُ الإنسـان إلاَّ بِنَفسـهِ وإن كـانَ ذا مـالٍ تليـدُ ومُطـرفِ

(المصدرنفسه)

ولكن نيل الفضل ليس بالأمر الهين وليس سهل الوصول ولوكان كذلك لنال الفضل كل متخاذل كسول ولزاحموا اهل العلي علي نيل الفضل ولكن الأمر ليس كذلك وبعض الناس خلق عطوفا يحب غيره والبعض منهم لا رحمة في قلبه وقلبه جاف وجافل من الناس لا يألف ولا يؤلف:

وَلَـو كَـانَ نَيـلُ الفَضـلِ سَـهلاً لَزاحَمَـتْ ... رِجـالُ الخنـا أهـلَ العُـلا والتَّعطُّـفِ

وفي النـاسِ معطـوفٌ علـى الـوُدِّ قَلبـهُ ... وَمِـنْهُمْ سَـقِيمُ الْعَهْـدِ بَـادِي التَّحَـرُّفِ

(المصدرنفسه، ص٥٣)

والفرد البشري مهما طال به العهد واستمرت الأيام ولكنه هدف لسهام الموت:

وَالْمَـرْءُ مَهْمَـا طَـالَ طَائِلُـهُ ... يَوْمـاً لِصَـائِبَةِ الـرَّدَى هَـدَفُ

فَلَبِـئْسَ مَـا قَـدِمَ الْمَشِـيبُ بِـهِ ... وَلَـنِعْمَ مَـا وَلَّـى بِـهِ السَّـلَفُ

(المصدرنفسه، ص٥٨)

عدم الاغترار بمرور الأيام

ويشير الشاعر إلي واقع أليم وهوأن بعض الناس يغترون بالدّهر وعلي الإنسان أن لا يغتر بالدّهر.

هـل في الزمـان لنـا حُكـمٌ فنشـترِطُ ؟ ... أَمْ تِلْـكَ أُمْنِيَّـةٌ فِـي طَيِّهَـا قَـنَطٌ

نبكـي علـى غـيرِ شـئ، ثمَّ يُضـحكنا ... مَـا لَـيْسَ فِيـهِ لَنَـا بُقْيَـا فَنَحْـتَلِطُ

(المصدرنفسه، ص٤٣)

ويتسائل الشاعر ويستغرب امتلاك العافية حيث أن الصحة مقرونة بالأخطار والمصائب وأن إدراك الغاية المنشودة لا تتحقق إلا لرجل لدية الثبات بالعزيمة رابط الجأش وإن انتابه الضيم تمسك بالسيف لدفع الضرر ولا يتأخر عن الإقدام ويطلب الشاعر منا أن لا نهاب المخاطر لأن النجاح مقرون بالسعي ولإقدام:

وَكَيْـفَ نَرْجُـومن الأَيَّـامِ عَافِيَـةً ... وَصِـحَّةَ الْمَـرْءِ مَقْـرُونٌ بِهَـا السَّـقَطُ؟

لاَ يُـدْرِكُ الْغَايَـةَ الْقُصْـوَى سِـوَى رَجُـلٍ ... ثَبْـتِ الْعَزِيمَـةِ مَـاضٍ حَيْـثُ يَنْخَـرِطُ

إن مسَّـهُ الضَّـيمُ نـاجى السَّـيفَ مُنتصـراً أوهمَّـهُ الأمـرُ لم يعلـق بـهِ الثـبطُ
فَاقْـذِفْ بِنَفْسِـكَ فِي أَقْصَـى مَطَالِبِهـا إِنَّ النَّجَـاحَ بِسَـعْيِ الْمَـرْءِ مُـرْتَبَطُ

(المصدرنفسه، ص٤٣)

لأن لمرء الجسور هوالذي يدرك حوائجه والفرد الذي يهاب لا يظفر بحاجته:

قـد يظفـرُ الفاتـكُ الألـوى بِحاجتـهِ ولـيسَ يُـدركها الهيَّابـة الخَلِـطُ
وَإِنْ شَـأَتْكَ الْمُنَـى فَـاقْنَعْ بِأَقْرَبِهـا فَلَـيْسَ فِي كُـلِّ حِـينٍ يُـدْرَكُ الْوَسَـطُ
لاَ تَعْفُلَـنَّ إِذَا أُمْنِيَّـة عَرَضَـتْ فَإِنَّمَـا الْعَـيْشُ فِي هَـذَا الْـوَرَى لَقَـطُ

(المصدرنفسه)

والفرد العجز والكسلان لا يظفر في حياته ومن أراد النجاح والظفر فعليه أن يستعد للمكاره بكل قوة واستعداد تام حتي لوتقلد سلاحه:

مَـنْ صَـاحَبَ الْعَجْـزَ لَـمْ يَظْفَـرْ بِمَـا طَلَبَـا فارْكَـبْ مِـنَ الْعَـزْمِ طِرْفـاً يَسْـبِقُ الشُّـهُبَا
لا يُـدْرِكُ الْمَجْـدَ إِلاَّ مَـنْ إِذَا هَتَفَـتْ بِـهِ الْحَمِيَّـةُ هَـزَّ الـرُّمْحَ وَانْتَصَـبَا
يَسْـتَهِلُ الصَّـعْبَ إِنْ هاجَـتْ حَفِيظَتُـهُ ولا يُشَـاوِرُ غَيْـرَ السَّـيْفِ إِنْ غَضِـبَا
يَنْهَـلُّ صَـارِمُهُ حَتْفـاً وَمَنْطِقُـهُ سِـحْراً حَـلالاً إِذَا مـا صَـالَ أَوخَطَبَـا
إِنْ حَـلَّ أَرْضـاً حَمَـى بِالسَّـيْفِ جَانِبَهَـا وإِنْ وَعَـى نَبْـأَةً مِـنْ صَـارِخٍ رَكِبَـا
فَـذَاكَ إِنْ يَحْـيَ تَحْـيَ الأَرْضُ فِي رَغَـدٍ وَإِنْ يَمُـتْ يَنْقَلِـبْ صِـدْقُ الْمُنَـى كَـذِبَا
فَاحْمِـلْ بِنَفْسِـكَ تَبْلُـغْ مـا أَرَدْتَ بِهَـا فَاللَّيْـثُ لا يَرْهَـبُ الأَخْطَـارَ إِنْ وَثَبَـا
لا يَقْعُـدُ الْبَطَـلُ الصِّـنْدِيدُ عَـنْ كَـرَمٍ مَـنْ جَـادَ بِـالنَّفْسِ لَـمْ يَبْخَـلْ بِمَـا كَسَـبَا

(المصدرنفسه، ج١، ص ٢٣)

وحول الجود بالنال اوالنفس لحماية العرض والشرف يقول:

وَجُـدْ بِمَـا مَلَكَـتْ كَفَّـاكَ مِـنْ نَشَـبٍ فَـالْجُودُ كَالْبَـأْسِ يَحْمِـي الْعِرْضَوَالنَّسَـبَا

(المصدرنفسه، ج٢، ص ٥٤)

وفيما يختص بمضار الاستعجال بالأمر وحسن التريث والاعتدال بين ذلك يقول:

تمهَّـــل، ولاتعجـــل إذا رُمـــتَ حاجـــة فَقَـــدْ يَلْحَـــقُ الْخُسْـــرَانُ مَـــنْ يَتَـــوَرَّطُ
فـــذوالحزمِ يرعـــى القصـــدَ في كـــلِّ حالـــة وَذ والْجَهْـــلِ إِمَّـــا مُفْـــرِطٌ أَومُفَـــرِّطُ

(المصدرنفسه)

وحول الابتعاد من الظن والظن لا يغني شيئا وأن الظن مهلك للإنسان يقول:

فَيَأَيُّهَـــا السَّـــارِي عَلَـــى غَيْـــرِ هُدْيَـــة رُويـــداً، فـــإنَّ البـــابَ دُونَـــكَ مُغلَـــقُ
أتَحسِـــبُ أنَّ الظَـــنَّ يُـــدرِكُ بَعـــضَ مـــا تُحَاوِلُـــهُ وَالظَّـــنُّ لِلْمَـــرْءِ مُوبِـــقُ؟
وَكَيْـــفَ يَنَـــالُ الْحِـــسُّ وَهْومُحَـــدَّدٌ سَـــرِيرَةَ غَيْـــبٍ دُونَهَـــا الْحِـــسُّ يَصْـــعَقُ؟
فَـــلا تَتَّبِـــعْ ريـــبَ الظنـــون، فَكـــلُّ مـــا تَصَـــوَّرَهُ الإنســـانُ وَهـــمٌ مُلفَّـــقُ

(المصدرنفسه)

والحدس ايضا كذلك في ريب وشك وينبغي للإنسان أن لا يبني علي الحدس وأشبه شيء بالظن وعلي المرء أن يدرك ما يتوهم في خاطره ويمسك كلامه وإلا فهوأحمق:

ولا تَحســـبَنَّ الحَـــدسَ يُـــدرِكُ مـــا نـــأى فَمَـــا كُـــلَّ حـــينٍ قَـــائِفُ الْحَـــدْسِ يَصْـــدُقُ
وَأَيْـــنَ مِـــنَ الْمَخْلُـــوقِ إِدْرَاكُ حِكْمَـــة بِهَـــا يُنْشِـــيءُ اللَّـــهُ الْقُـــرُونَ وَيَمْحَـــقُ؟
فَلَـــوعَلِمَ الإِنْسَـــانُ حَالَـــةَ نَفْسِـــهِ كَفَـــاهُ، ولَكِـــنَّ ابـــنَ آدَمَ أخـــرَقُ
إذا المـــرءُ لم يَملـــك بـــوادرَ وَهمـــهِ عـــنِ القـــولِ فيمـــا لم يُفِـــد فَهوأحمَـــقُ

(المصدرنفسه)

وحول الإبتعاد عن الدنيا ومظاهره الخلّابة والفتّانة وأن نعيمها يزول ولا يبقي ويبلي كل جديد فيها بمرور الأيام فيقول:

فَإِيَّـــاكَ وَالـــدُّنْيَا، فَـــإِنَّ نَعِيمَهَـــا يَـــزُولُ، وَمَلْبُـــوسُ الْجَدِيـــدَيْنِ يَخْلُـــقُ
فَـــإِنْ هِـــيَ أَعْطَتْـــكَ اللِّيَـــانَ فَإِنَّهَـــا سَتَخشـــنُ مـــن بَعـــدِ اللِّيـــان وتَخـــرقُ

(المصدرنفسه، ص٥٥)

جاءت الأبيات الأخيرة من النص مفعمة بالعاطفة الدينيّة الصادقة، المنطلقة من الإيمان بقضاء الله وقدره، الذي لا مفرّ منه، وفي ذلك دلالة واضحة على الثقافة الدينية للبارودي، مختتماً نصّه بدعاء الشاعر وطلبه الرحمة لكل إنسانٍ عرف طريق الحق والصواب وسار عليه:

فـــلا وُدُّهـــا يَبقَـــى، ولا صَفوعَيشِـــها ... يَـــدُومُ، وَلاَ مَوْعُودُهَـــا يَتَحَقَّـــقُ

فَكَـــم أخلَفَـــت وعـــداً، ومَلَّـــت صَـــحابة ... وخانـــت وَفِيًّـــا، فَهِـــيَ بَلـــهاءُ تَـــنزَقُ

(المصدرنفسه)

وحول قصر الحياة النهي عن طول الأمل والتمني في الحياة الفانية يقول:

لَعَمْـــرُ أَبِـــي إنَّ الْحَيَـــاةَ وَإِنْ صَـــفَتْ ... مَســـافة يـــوم فَهوصَـــفومُرنَّقُ

فَفِـــيمَ يَـــوَدُّ الْمَـــرْءُ طُـــولَ حَيَاتِـــهِ ... وفي طُولِهـــا شَـــملُ الهنـــاءِ مُفـــرَّقُ ؟

(المصدرنفسه)

وحول سرعة مرور الأيام والسنين وتقضي العمر واهدامه من قبل الدهر وأنه ليس بمشفق علينا يقول:

كَـــأَنَّ هِـــلاَلَ الأُفْـــقِ سَـــيْفٌ مُجَـــرَّدٌ ... عَلَيْنَـــا بِـــهِ، وَالـــنَّجْمَ سَـــهْمٌ مُفَـــوَّقُ

أبـــادَ بنيـــهِ ظَالِمـــاً غَـــيرَراحـــمٍ ... فَيَـــا عَجَبَـــا مِـــنْ وَالِـــدٍ لَـــيْسَ يُشْـــفِقُ

وحول الاتكال علي الله يقول:

فَـــلا تبتـــئس بـــالأمرِ تَخشَـــى وُقوعَـــهُ ... فَقَـــدْ يَـــأْمَنُ الإنْسَـــانُ مِـــنْ حَيْـــثُ يَفْـــرَقُ

وكُـــن واثِقـــاً بـــاللهِ في كـــلِّ مِحنَـــة ... فَلَلَّـــهُ أَوْلَـــى بِالْعِبـــادِ وَأَرْفَـــقُ

(المصدرنفسه)

وحول كتمان الضمير وعدم افشاء السر والحذر من انقلاب الصديق عدوا والتسلح وأهبة الإستعداد للمكاره يقول:

أُكـــتُم ضَـــميركَ مِـــن عَـــدوِّكَ جاهِـــداً ... وحَـــذارِ لا تُطلِـــع عَليـــهِ رَفيقـــا

فَلَرُبَّمَـــا انْقَلَـــبَ الصَّـــدِيقُ مُعَادِيـــاً ولرُبَّمـــا رجـــعَ العَـــدُو صَـــديقا

(المصدرنفسه)

فعلى المرء أن يرد الحجر من حيث أتي ويدفع عن نفسه الضيم وأن لا يدخل الحرب بلا سلاح:

إذا المـــرءُ لم يـــرمِ الهَنـــاةَ بِمثلِهـــا لِيَـــدْفَعَ ضَـــيْماً، فَهْوبِالـــذُّلِّ أَخْلَـــقُ

ومَـــن شَـــهِدَ الهيجـــاءَ مِـــن غـــيرِ آلـــة يَـــذودُ بهـــا عَـــن نَفسِـــهِ، فَهـــو أحمَـــقُ

(المصدرنفسه، ص ٦٧)

وعلى الفرد أن يكون نافعا لأخيه وأبناء جلدته وإلا فغير مأسوف علي رحيله:

إِذَا مـــا الْمَـــرْءُ لَـــمْ يَنْفَـــعْ أَخَـــاهُ عَلَـــى الْحَـــالَيْنِ فِـــي سَـــعَةٍ وَضِـــيقِ

فَدَعْـــهُ غَيْـــرَ مَأسُـــوفٍ عَلَيـــهِ فَخَيْـــرٌ مِنْـــهُ إِخْـــوَانُ الطَرِيـــقِ

(المصدرنفسه، ص ٦٧)

وحول طباع الأنسان وتنوع تلك الأطباع والسجايا عند الناس وكيف تظهر وتبدئ عندهم يقول:

إنَّ ابْـــنَ آدَمَ ذُوطَبَـــائعَ أَرْبَـــعٍ مَجموعَـــة الأجـــزاءِ في أخلاقِـــهِ

تَبْـــدُوفَوَاعِلُهَا علَـــى حركَاتِـــهِ في بَطشِـــهِ وسُـــكونهِ ونِزاقِـــهِ

فَـــإِذَا تَغَلَّـــبَ وَاحِـــدٌ مِنْهَـــا عَلَـــى أَقْرَانِـــهِ أَدَّى إِلى إِقْلاَقِـــهِ

بَيْنَـــا تَـــرَاهُ كَـــالزُلاَلِ لَطَافَـــةً أَلْفَيْتَـــهُ كَالنَّـــارِ فِـــي إِحْراقِـــهِ

أَوكَـــالتُّرَابِ يَهِيـــلُ مِـــنْ عَقَدَاتِـــهِ أَوكَـــالْهَوَاءِ يَجُـــولُ فِـــي آفاقِـــهِ

فَـــإِذَا تَعَـــادَلَ جَمْعُهَـــا، وَتَوَازَنَـــتْ حَرَكَاتُهَـــا كَانَـــتْ دَلِيـــلَ وِفَاقِـــهِ

(المصدرنفسه)

ومهما كان الإنسان وما لديه من تخلق، فإن العرق دساس:

وَالْمَـــرْءُ مَهْمَـــا كَـــانَ فِـــي أَفْعَالِـــهِ لاَ يَنْتَهِـــي إِلاَّ إِلَـــى أَعْرَاقِـــهِ

(المصدرنفسه)

والخلاق هي مواهب من الرّحمان في داخل الإنسان وقد قسمه الباري عز وجلَّ في الناس علي ضربين اما طالب علم واما جاهل يسير علي غير هدي:

لَعَمْـــرُك مـــا الأخـــلاقُ إلا مواهـــبٌ ... مُقَسَّـــمَةٌ بـــين الـــــوَرَى، وفَواضِـــلُ

ومـــا النـــاسُ إلا كادِحَـــان: فعـــالـــمٌ ... يســـيرُ علـــى قَصْـــدٍ، وآخَـــرُ جاهـــــلُ

فَذُوالعـــلْمِ مأخـــوذٌ بأســـبابِ علمـــهِ ... وذوالجهـلِ مقطـوعُ القرينـةِ جَافِـــلُ

(المصدرنفسه، ج٣، ص٩٨)

وحول فقدان الثقة والمودة بين الناس وحول عدم التجانس ومضار ذلك يقول:

فـــلا تَطْـــلُبَنْ فِ النَّـــاسِ مِثْقَـــالَ ذَرَّةٍ ... مِـــنَ الـــودِّ، أ مُّ الـــوُدِّ فِ النـــاسِ هابـــلُ

مِـــنَ العـــارِ أنْ يَرْضَـــى الفَتَـــى غَيْـــرَ طَبْعِـــهِ ... وأنْ يَصْـــحَبَ الإنســـانُ مَـــنْ لا يِيُشَـــاكِلُ

(المصدرنفسه)

من خلال هذه المضامين الواردة في شعر البارودي نجد الأقوال الحكمية في شعر هذا الشاعر البليغ ونستطيع القول أنّه ما من قصيدة لدي البارودي إلا وفي طيات أبياتها الأقوال من الحكمة قالها من أجل الاتعاظ وأخذ العبرة:

مـــتى أنـــتَ عَـــن أحموقـــة الغـــى نـــازِعُ ... وفِ الشَّـــيبِ للـــنَّفسِ الأبيَّـــةِ وازِعُ ؟

أَلاَ إنَّ فِـــي تِسْـــعٍ وَعِشْـــرِينَ حِجَّـــةً ... لِكُـــلِّ أَخِـــي لَهْـــو عَـــنِ اللَّهْـــوِ رَادِعُ

(المصدرنفسه، ج٢، ص ٨١)

فالشاعر ينوه إلي الاتعاظ وأخذ العبرة من المشيب بعد أن ينهي المتمادي في غيره ويذكره بأن في الشيب خير واعظ للمرء وعندما يصل الإنسان سنه التاسعة والعشرين يجب عليه أن ينتبه ويأخذ الحيطة والحذر ويترك اللهو.

فحتـــامُ تصـــبيكَ الغـــوانى بِـــدلِّها ... وتَهْـــفُ وبِلِيتَيْـــكَ الْحَمَـــامُ السَّـــوَاجِعُ؟

أمـــا لـــكَ فِ الماضـــينَ قبلـــكَ زاجـــرٌ ... يَكفُّـــكَ عـــن هـــذا؟ بلـــى، أنـــتَ طـــامعُ

(المصدرنفسه)

فاعبرة بما يحدث حول الإنسان هي خير واعظ للفرد والوقائع تذكر الإنسان بمسيره

ومصيره فلا ينبغي للفرد أن يكون لاهيا نفسه بما لا ينفع:

وَهَـلْ يَسْـتَفِيقُ الْمَـرْءُ مِـنْ سَـكْرَةِ الصِّـبَا إذا لم تُهـذِّب جانبيـهِ الوقـائعُ ؟

يَـرَى الْمَـرْءُ عُنْـوَانَ الْمَئُـون بِرَأْسِـهِ ويـذهبُ يُلـهى نفسَـهُ ويصـانِعُ

(المصدرنفسه)

والليالي عند الشاعر كالعقارب موجهة الحركة وسرعة السير بالإنسان نحو أجله فعلي الإنسان أن لا يغتر بحركة الليالي وإن كانت بطيئة لا تدرك فتفاجع الفرد بالفجائع:

أَلا إِنَّمَـا هَـذِي اللَّيَـالِي عَقَـارِبٌ تَـدِبُّ، وَهَـذَا الـدَّهْرُ ذِئْـبٌ مُخَـادِعُ

فـلا تحسـبنَّ الـدَّهرَ لعبَـة هـازلٍ فمـا هـوالاً صـرفهُ والفجـائعُ

(المصدرنفسه، ص ٨٢)

إذن فحياة هكذا لا يفيد فيها ادخار المال حيث العمر ضائع:

فَيَـا رُبَّمَـا بَـاتَ الْفَتَـى وَهْـوآمِنٌ وأصـبحَ قَـد سُـدَّت عليـهِ المطـالعُ

ففـيمَ اقتنـاءُ الـدِّرعِ والسَّـهمُ نافِـذٌ ؟ وَفِـيمَ ادِّخَـارُ الْمَـالِ وَالْعُمْـرُ ضَـائعُ؟

(المصدرنفسه)

ومن طمع الإنسان الغير محدود هوأنه يتمني أن يجمع ما في الأرض تحت ملكه وهولايدري ما يراد به من قبل الباري الحكيم:

يَـودُّ الفـتى أن يَجمـعَ الأرضَ كُلَّهـا إليـهِ، ولَّـا يـدرِ مـا اللّهُ صـانِعُ

فَقَـدْ يَسْـتَحِيلُ الْمَـالُ حَتْفـاً لِرَبِّـهِ وَتَـأْتِي عَلَـى أَعْقَـابِهِنَّ المَطَـامِعُ

(البارودي، ديوان البارودي، ج٢، ص ٨٢)

والأيام تجري بمقادير وربما صاحب كد يحرم مما ادخر وكد وربما شخص وادع يرزق من تلك الميراث، فعلي الإنسان أن يسعي مسعاه فالله هوالمعطي والمانع:

أَلا إِنَّمَـا الأَيَّـامُ تَجْـرِي بِحُكْمِهـا فَيُحْـرَمُ ذُوكَـدٍّ، وَيُـرْزَقُ وَادِعُ

فـلا تقعـدَن للـدهر تنظـر غِبَّـهُ علـى حَسـرةٍ، فـاللّهُ مُعـطٍ ومـانع

فلـــوأنَّ مـــا يُعطـــى الفـــتى قـــدرُ نفســـهِ ... لمـــا بـــاتَ رِئبـــالُ الشَّـــرى وهوجـــائعُ

ودَع كُـــلَّ ذى عقـــلٍ يســـيرُ بعقلـــهِ ... يُنـــازِعُ مـــن أهوائـــهِ مـــا ينـــازعُ

(المصدرنفسه، ص ٨٣)

يخبرنا الشاعر البارودي بما لديه من تجربةدراية بأمور الناس وإن كان لا علم له بالغيب ولكنه خبرة حكيم مجرب ويطلب من الإبتعاد عن الفتنة إن حصلت بين الناس فيكونوا قاتل ومقتول والإنسان لا يعلم اين خيره من شره ولوكان غير ذلك لعلم سنمار ما يراد به قبل القتل:

فمـــا النَّـــاسُ إلاَّ كالَّـــذى أنـــا عـــالمٌ ... قَـــدِيماً، وَعِلْـــمُ الْمَـــرْءِ بِالشَّـــيءِ نَـــافِعُ

ولســـتُ بِعـــلاَّمِ الغيـــوبِ، وإنَّمـــا ... أَرَى بِلِحَـــاظِ الـــرَّأْيِ مَـــا هُووَاقِـــعُ

وَذَرْهُـــمْ يَخُوضُـــوا، إنَّمَـــا هِـــيَ فِتْنَـــة ... لَهُـــمْ بَيْنَهَـــا عَمَّـــا قَلِيـــلٍ مَصَـــارِعُ

فَلَـــوعَلِمَ الإِنْسَـــانُ مَـــا هُوكَـــائِنٌ ... لمـــا نـــامَ سُـــمَّارٌ، ولا هـــبَّ هـــاجِعُ

(المصدرنفسه، ص٨٢)

والأبدان ليست إلا هياكل وأعضا متصلة والنفوس فيها أمانات ودائع من قبل خالق الكون وذهب الكثير من الملوك الذين كانت لهم قوة وسطوة علي الناس وبقيت البلاط منهم خالية. ذهبوا وكأن لم يكونوا:

ومـــا هـــذِهِ الأجســـامُ إلاَّ هياكـــلٌ ... مُصـــوَّرَةٌ، فيهـــا النُّفـــوسُ ودائـــعُ

فَـــأَيْنَ الْمُلُـــوكُ الأَقْـــدَمُونَ تَسَـــنَّمُوا ... قِـــلاَلَ الْعُـــلاَ؟ فَـــالأَرْضُ مِـــنْهُمْ بَلاقِـــعُ

أَرَى كُـــلَّ حَـــيٍّ ذَاهِبـــاً بِيَـــدِ الـــرَّدَى ... فهـــل أحـــدٌ ممَّـــن ترحَّـــلَ راجِـــعُ؟

(المصدرنفسه، ص٨٣)

مَضَوْا، وَأَقَامَ الدَّهْرُ، وَانْتَابَ بَعْدَهُمْ مُلُوكٌ، وَبَادُوا، وَاسْتَهَلَّتْ طَلاَئِعُ وتظهر العاطفة الدينيّة في أبيات الحكمة التي خُتم بها النص. وقد انعكست هذه العاطفة - بشكلٍ واضح - على الأفكار والألفاظ والتصوير.

قَلَّـــدْتُ جِيـــدَ الْمَعَـــالِي حِلْيَـــةَ الْغَـــزَلِ ... وَقُلْـــتُ فِـــي الْجِـــدِّ مَـــا أَغْنَـــى عَـــنِ الْهَـــزَلِ

يـــأبى لىَ الغـــىَّ قلـــب لا يميـــلُ بـــهِ ... عَـنْ شِـرْعَةِ الْمَجْـدِ سِحْرُ الأَعْـيُنِ النُّجُـلِ
أَهِـــيمُ بِـــالْبِيضِ فِـــي الأَغْمَـــادِ بَاسِـــمَةً ... عـــنْ غـــرةِ النصـــرِ، لا بـــالبيضِ فِي الكلـــلِ
لَـــمْ تُلْهِنِـــي عَـــنْ طِـــلابِ الْمَجْـــدِ غَانِيَـــةٌ ... فِـــي لَـــذَّةِ الصَّـــحْوِ مَـــا يُغْنِـــي عَـــنِ الثَّمَـــلِ
كـــمْ بـــينَ منتـــدبٍ يـــدعو لمكرمـــةٍ ... وَبَـــيْنَ مُعْتَكِـــفٍ يَبْكِـــي عَلَـــى طَلَـــلِ
لَـــوَلا التَّفَـــاوُتُ بَـــيْنَ الْخَلْـــقِ مَـــا ظَهَـــرَتْ ... مَزِيَّـــةُ الْفَـــرْقِ بَـــيْنَ الْحَلْـــيِ وَالْعَطَـــلِ
فـــانهض إلى صـــهواتِ المجـــدِ معتليـــاً ... فالبـــازُ لمْ يـــأوِ إلاَّ عـــاليَ القلـــلِ
ودعْ مـــنَ الأمـــرِ أدنـــاهُ لأبعـــدهِ ... في لجـةِ البحـرِ مـا يغـنى عـنِ الوشـلِ
قـــدْ يظفـــرُ الفاتـــكُ الألـــوى بحاجتـــهِ ... وَيَقْعُـــدُ الْعَجْـــزُ بِالْهَيَّابَـــةِ الْوَكَـــلِ
وَكُـــنْ عَلَـــى حَـــذَرٍ تَسْـــلَمْ، فَـــرُبَّ فَـــتىً ... ألقـى بـهِ الأمـنُ بـينَ اليـأسِ والوجـلِ
ولا يغرنـــكَ بشـــرٌ مـــنْ أخـــى ملـــقٍ ... فرونـــقُ الآلِ لا يشـــفى مـــنَ الغلـــلِ
لـــو يعلـــمُ مـــا في النـــاس مـــنْ دخـــنٍ ... لَبَـــاتَ مِـــنْ وُدِّ ذِي الْقُرْبَـــى عَلَـــى دَخَـــلِ

(المصدرنفسه، ج٣، ص ٦٨)

وعلي المرء أن لا يثق بأحد قبل أن يختبره وعليه أن يبتعد عن الغيبة والنميمة لأنها تحرق الطرفين:

فَـــلا تَثِـــقْ بِـــوَدَادٍ قَبْـــلَ مَعْرِفَـــةٍ ... فَالْكُحْـــلُ أَشْـــبَهُ فِـــي الْعَيْنَـــيْنِ بِالْكَحَـــلِ
وَاخْـــشَ النَّمِيمَـــةَ، وَاعْلَـــمْ أَنَّ قَائِلَهَـــا ... يصـــليكَ مـــنْ حرهـــاَ نـــاراً بـــلاَ شـــعلِ
كـــمْ فريـــةٍ صـــدعتْ أركـــانَ مملكـــةٍ ... وَمَزَّقَـــتْ شَـــمْلَ وُدٍّ غَيْـــرِ مُنْفَصِـــلِ
ولاَ تخـــافوا نكـــالاً فيـــهِ منشـــوكمْ ... فـــالحوتُ في الـــيمِّ لا يخشـــى مـــنَ البلـــلِ

(المصدرنفسه)

يبين الشاعر أنه رجل خبير مجرّب فقد خبر الحياة بحلوها ومرها، فما وجد أشهى من العمل بحرية ودون قيود أوتسلّط:

حلبـــتُ أشـــطرَ هـــذا الـــدهرِ تجربـــةً ... وَذُقْـــتُ مَافِيـــهِ مِـــن صَـــابٍ، وَمِـــنْ عَسَـــلِ
.فَمَـــا وَجَـــدْتُ عَلَـــى الأَيَّـــامِ بَاقِيَـــةً ... أَشْـهَى إِلَـى الـنَّفْسِ مِـنْ حُرِّيَّـةِ الْعَمَـلِ

(المصدرنفسه، ص ٦٩)

يبين حال الأمة التي أصبحت هدفاً للشر وللطامعين في حال غياب العلماء والقادة عن الساحة السياسية.

.لكننـــــا غـــــرضٌ للشـــــرِّ في زمـــــنٍ أَهْـلُ الْعُقُـولِ بِـهِ فِـي طَاعَـةِ الْخَمَـلِ

إِنْ لَـمْ يَكُـنْ لِلْفَتَـى عَقْـلٌ يَعِـيشُ بِـهِ فَإِنَّمَـــا هُومَعْـــدُودٌ مِـــنَ الْهَمَـــلِ

(المصدرنفسه)

يخرج بعد الأبيات السابقة بحكمة: فكل من لا عقل له فهومن الهمل الذين لا موجه ولا مرشد لهم.

فبـــادروا الأمـــرَ قبـــلَ الفـــوتِ وانتزعـــوا شِـكَالَةَ الرَّيْـثِ، فَالـدُّنْيَا مَـعَ الْعَجَـلِ

(المصدرنفسه)

عليكم أن تسارعوا قبل فوات الأوان، وأن تتخلصوا من داء التريُّث لأن الدنيا مع العجل وليست مع المتريث. ثم يقدم النصائح لقومه، فعليهم أن يختاروا لأمرهم رجلاً ثقة يكون لهم معيناً ودرعاً في كل أمر عظيم ثم عليهم أن يتركوا الفوضى والتنازع فهذا مدعاة إلى الفشل، وعليهم أن يكونوا أقوياء شجعان فهذا طبعهم، الذي طُبعوا عليه وعليهم ألا يخافوا من العدو في المعارك لأنهم هم أهل المعارك.

وَقلّـــدوا أمـــركمْ شـــهماً أخـــا ثقـــة يكـــونُ رداءً لكـــمْ في الحـــادثِ الجلـــلِ

وَلاَ تَلَجُّـــوا إِذَا مَـــا الـــرَّأْيُ لاَحَ لَكُـــمْ إنَّ اللجاجـــةَ مـــدعاةٌ إلى الفشـــلِ

وَلاَ تخـــافوا نكـــالاً فيـــهِ منشـــوكمْ فـــالحوتُ في الـــيمِّ لا يخشـــى مـــنَ البلـــلِ

(المصدرنفسه)

ثم يخلص بحكمة مفادها أن حياة الذل ليست كاملة فهي حياة منقوصة وخير منها الموت بعزة فهوفخر للسادة والنبلاء:

عـــيشُ الفـــتى في فنـــاءِ الـــذلّ منقصـــةٌ والمـــوتُ في العـــز فخـــرُ الســـادةِ النبـــلِ

لا تتركـــوا الجـــدَّ أويبـــدواليقينُ لكـــمْ فالجـــدُّ مفتـــاحُ بـــابِ المطلـــبِ العضـــلِ

(المصدر نفسه)

يخلص الشاعر بمدح قصيدته فهي قصيدة غراء تعشقها الأسماع وتعلق بها فرحة بمعانيها وقد أسهرت عيني في نظمها حتى جاءت مميزة مختلفة عن كل شعر سبقها

أَسْـهَرْتُ جَفْنِـي لَكُـمْ فِـي نَظْـمِ قَافِيَـةٍ ... مَـا إِنْ لَهَـا فِـي قَـدِيمِ الشِّـعْرِ مِـنْ مَثَـلِ

غَـرَّاءُ، تَعْلَقُهَـا الأَسْـمَاع مِـنْ طَـرَبٍ ... وَتَسْـتَطِيرُ بِهَـا الأَلْبَـابُ مِـنْ جَـذَلِ

(المصدر نفسه)

عبَّر البارودي في شعره عن تأثره بالأقدمين وأنَّ شعره ليس وليد الصنعة وإنما وليد الطبع فقال:

أقـولُ بطبـعٍ لسـتُ أحـتاجُ بعـده ... إلى المنـهل المطـروقِ الوعـر

إذا جـاش طبعـي فـاض بالـدّر منطقـي ... ولا عجـبٌ فالـدّر ينشـأ في البحـر

(المصدرنفسه، ص٣٢)

١- أحسّ البارودي بوظيفة الشعر الاجتماعية وما يبثه في النفوس من الحكمة والدعوة إلى مكارم الأخلاق.

٢- نوّع في التعبير عن أحاسيسه ومشاعره وعن قضايا أمته ومشاعرها القومية.

٣- ناشد قومه بالثورة ضد الظلم فقال:

فيـا قـومُ هبّـوا إنمـا العمـرُ فرصـةٌ ... وفي الـدهر طُـرْقٌ جـمّةٌ ومنـافعُ

وكيـف تـرون الـذّلَّ دار إقامـةٍ ... وذلـك فضـلُ اللهِ في الأرضِ واسـعُ

(المصدرنفسه، ص ٥٦)

النتيجة:

- البارودي من الشعراء المعاصرين المصريين الذين عالجوا الحكمة في أشعارهم وهو محمود سامي بن حسن حسني البارودي، نسبة إلى إتياي البارود، بمحافظة البحيرة حيث كان أحد أجداده ملتزمًا بجمع الضرائب هناك، ويمتد نسبه إلى المماليك الذين حكموا مصر قبل أن يخضعها العثمانيون لحكمهم.

- قد تشبع البارودي بروح الشعر العربي القديم، عبر عن نفسه وصور بيئته وعصره وصدر عن ذاته، فكان شاعرًا أصيلًا استحق أن يكون رائد النهضة الشعرية، وإمام مدرسة البعث والإحياء في الشعر العربي الحديث.
- وقد اتسم شعر البارودي بسمات الفن الراقي من حيث الفكر والمعنى ومن حيث الصياغة والأسلوب، من حيث الخيال والتصوير، وقد كانت حياة البارودي حياة حافلة بالأحداث الكبرى على مستوى شخصه وأسرته وعلى مستوى وطنه ومجتمعه.
- كانت اشعار البارودي في مجال الحكمة هي سهلة لألفاظ دون التعقيد وخير الكلام كما يقال هو ما ائتلفت ألفاظه وائتلقَت معانيه وكان قريبَ المأخذ، بعيدَ المرمى، سليمًا من وصمة التَّكلّف، بريئًا من عَشوة التَّعسّف، غنيًّا عن مراجعة الفكرة، فهذه صفة الشّعر الجيّد التي تجلت بكثير في أشعار البارودي الوعظية.
- قد ملكَ الشاعر البارودي من خلال اشعاره ذات الحكمة أعنَّةَ القلوبِ ونالَ مودّة النّفوسِ وصار بينَ قومه كالغرّةِ في الجوادِ الأدهمِ والبدر في الظّلامِ الأيهمِ.

الملخص:

لقد برعَ الشاعر المعاصر المصري محمود سامي البارودي باستخدام الحكمة في شعره. نجد ذلك عندما نتصفّح ديوانه الضخم والمليء بالأقوال الحكمية وهي تارة تُرسَل إرسال المثل. وما هي إلا استدعاءاً للتراث الثري وقد ألبسها الشاعر لباسا جديداً ومستقاة من التجارب في الحياة، فمنها في مجال العبرة من الدهر والشيب والشيخوخة والاتعاظ بما يحدث ومنها في مجال الهمة والبسالة والشجاعة وكان يمتلك هذا الشاعر مقدرة عالية علي صياغة المثل بما يلائم المناسبة والمعني المراد.

جاءت هذه الدراسة تبياناً وتطبيقاً للحكمة الواردة والمستخدمة في شعر محمود سامي البارودي الشاعر المعاصر المصري الشهير. وان تكررت الدراسات حول هذه القضية ولكنها حرية بأن تدرس من جديد من حيث تعدد زوايا النظر لتشكل دليلا على خصوبتها وحيويتها واتساع مداها في النفوس وشمولية عطاياها.

ومن الباعث على ولوج هذا الموضوع هو أن زوايا رصد الباحثين حول الحكمة كانت

من منظور أحادي الجانب لا تعالج الموضوع بشكل تطبيقي وعصري. ومن أجل هذه الغاية اتبعت منهج الدراسة التحليلية بغية الكشف عن الصلة بين النتاج الشعري وبيان الحكمة لدى الشاعر المعاصر البارودي.

الكلمات الدليلية: الحكمة، الشعر،البارودي، الوعظ، الدهر

Abstract

In fact the Egyptian contemporary poet mohamoud sami baroudi was the superior of other poets in the wisdom. His wisdom poetry which is sometimes reflected in his poetry as sayings may be found throughout his voluminous diwan. This poem reminds features of the traditional Arabic culture and literature which are manifested in the form of a new garment and bosed on the experience of life. Some of his poems is advice and counsel are belonged to learning lessons fram the days and the events of the surrounding inviromente and soma of them to the courage and the boldnesss. Baroudi had an unusual ability in transforming his wisdom poems to sayings which suit Completely with the occasions.

Barodi.wisdom.poet.arabic.quran keywords

قائمة المصادر والمراجع

وخير مانبتدىء به القرآن الكريم

- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت: دارصادر، ط٤، ١٩٩٩م.
- الإصفهاني، راغب، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق، قم: صفوان عدنان داودي، طليعة النور، ط٢، ٢٠٠٦م.
- الأصمعي، عبد الملك بن قريب، الأصمعيات، تحقيق أحمد محمد شاكر، مصر، دار المعارف، ١٩٩٣م.
- البارودي، محمودسامي، ديوان البارودي، الجزء الأول، القاهرة، دارالمعارف، ١٩٧١م.
- البستاني، فؤاد أفرام، منجد الطلاب، ترجمة: محمّد بندر ريگي، مطبعة حيدري، ط١٧، طهران،إيران، ٢٠٠٢م.

- بعلبكي، روحي، موسوعة روائع الحكمة والأقوال الخالدة، دار العلم للملايين، ط١٢، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨م.
- البوغبيش، عواطف، الحكمة ومصادرها في العصر العباسي، الثلاثاء ١٥ أيار (مايو) ٢٠١٢.
- التهانوي، محمّد علي، كشاف إصطلاحات الفنون والعلوم، ج ١، دارالكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٦م.
- الجرجاني، علي بن محمّد، التعريفات، دارالكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٥م.
- الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح، ج ٥، دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٥٦م.
- دهخدا، علي اكبر، لغت نامه، تحقيق محمّد معين ودكتر سيد جعفر شهيدي، دانشگاه تهران، ١٣٧٧ هـ.ش.
- السجستاني، أبوسليمان: صوان الحكمة وثلاث رسائل، انتشارات بنياد فرهنگ،طهران، ١٩٧٤م.٢
- عويضة، محمد، محمود سامي البارودي، بيروت ـ لبنان: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م.
- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، قاموس المحيط،بيروت، دار الفكر،١٩٨٣.
- محمد، سراج الدين، الحكمة في الادب العربي، بيروت، دار الراتب الجامعية، د.ت.
- مسعود، جبران، رائد الطلاب، تهران، نشر دانش پژوه، ١٣٣٦.
- مصلح، جواد، فلسفه عالي ياحكمت صدرالمتألهين،دانشگاه تهران،چاپ دوم، ١٣٥٣ هـ.ش.
- معلوف، لويس، المنجد، مطبعةمعراج،ط٢،طهران، إيران، ١٣٦٧ هـ.ش.
- مغنية، محمّد جواد، تفسير الكاشف،مؤسسة دار الكتاب الإسلامي،ط٤، قم - إيران، ٢٠٠٧م.
- نصرالله، حسن عباس، جمهورية الحكمة في نهج البلاغة، دارالقاريء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.ق.